

## دلائل الإعجاز

معجزة كلِّ نبيٍّ فيما كان أـغلبَ على الذين بُعثَ فيهم وفيما كانوا يتباهـونَ به وكانت عوامٌ هـم تعظـم به خواصـهم . قالوا : إنه لمـّا كان السحرُ الغالبَ على قومِ فرعونَ ولم يكنْ قد استحكم في زمانٍ استحكمـه في زمانه جعل تعالى مُعجزةَ موسى عليه السلام في إبطالـه وتـوهينـه . ولمـّا كان الغالبَ على زمانِ عيسى عليه السلام الطبُّ جعل الله تعالى مُعجزةَـه في إبراء الأكمـه والأبرص وإحياء الموتى . ولما انتهوا إلى ذكرِ نبيّنا محمّدٍ وذكرِ ما كان الغالبَ على زمانه لم يذكروا إلا البلاغةَ والبيانَ والتّصريفَ في ضروب النظم .

وقد ذكرتُ في الذي تقدّمَ عينَ ما ذكرتهُ هاهنا مما يدلُّ على سقوطِ هذا القول . وما دعاني إلى إعادة ذكره إلا أنه ليس تهالكُ الناسِ في حديث اللفظ والمحاماةُ على الاعتقاد الذي اعتقدوه فيه وضنُّ أنفسهم به إلى حدٍّ . فأحببتُ لذلك أن لا أدع شيئاً ممّا يجوزُ أن يتعلّقَ به متعلّقٌ ويلجأَ إليه لاجءٌ ويقعَ منه في زَفْسٍ سامعٍ شكٌّ إلا استقصيتُ في الكشْفِ عن بطلانه .

وهاهنا أمرٌ عجيبٌ وهو أنّه معلومٌ لكلِّ من نظر أن الألفاظ من حـيّثُ هي ألفاظٌ وكلامٌ ونطقٌ لسانٍ لا تختصُّ بواحدٍ دونَ آخر وأنها إنما تختصُّ إذا تُؤخِّـرُ فيها النظمُ . وإذا كان كذلك كان مَن رفع النظمَ من البين وجعلَ الإعجازَ بجُمْلته في سهولة الحروفِ وجريانها جاعلاً له فيما لا يصحُّ إضافتهُ إلى الله تعالى وكفّاه بهذا دليلاً على عدمِ التوفيقِ وشدّةِ الضلالِ عن الطريق .

فصل فيه إجمال وعظة .

قد بلغنا في مداواة الناسِ مِن داءهم وعلاجِ الفسادِ الذي عرَضَ في آرائهم كلِّ مبلغٍ وانتهينا إلى كلِّ غايةٍ وأخذنا بهم عن المجاهل التي كانوا يتعسّفون فيها إلى السّـننِ اللّاحِبِ ونقلدناهم عن الآجنِ المطروقِ إلى النّـميرِ الذي يشّفي غليلَ الشارب . ولم